نسف المدرّعات

المدرّعة من مدرعات هذه الايام يتفق على انشائها مليونان او اكثر من الجنيهات اي ما يبني عشر مدارس من المدارس الجامعة لكنها تذهب طعمة ما فيها من البارود في دقيقة من الزمان

حدث في الخامس والعشرين من سبتمبر الماضي انهُ بينما كانت المدرعة الفرنسوية ليبرته في مرفإ طولون تجلّى كالعروس في خدرها اضطرمت النار في احدى غرفها وبعد ساعات قليلة وصل لهبها او حموها الى مخزن القنابل فنسفها نسفاً وقتلت من بحارتها والذين اسرعوا لانقاذهم نحو ٣٠٠ نفس

وهذه المدرّعة أُنزلت الى البحر سنة ١٩٠٧ وهي من نوع الطرادات تغريقها ١٤٨٦٠ طناً وسرعتها ١٩ ميلاً بحريا في الساعة وفيها اربعة مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ١٢ بوصة وعشرة مدافع مما قطر فوهتهِ سبع بوصات ونصف بوصة وعدد بحارتها ٧٩٣ . وقد بلغت نفقات بنائها مليوناً وستمائة الف جنيه

ابتدأ شبوب النار فيها بعد نصف الليل بساعة في مخزن الزيت والتربنتينا والسهان فحاول بحارتها اطفاءها (وكان ١٤٠ منهم غائبين بالاجازة مع قبطانها) فلم يتمكنوا من ذلك ورأت البوارج الراسية هناك ألسنة النار تندلع من جوانبها فارسلت اليها القوارب والبحارة لمساعدة من فيها او لانقاذهم وكان ذلك نحو الساعة الخامسة صباحاً وعند الساعة ٥ والدقيقة ٣٥ اخذت اصوات نسف القنابل تتوالى فرمى كثيرون من البحارة انفسهم في البحر قصد النجاة وعند الساعة الخامسة والدقيقة ٥٣ نسف مخزن المبرة كلهُ فمزّق المدرعة واطار اشلاء القتلى في الجو وقتل كثيرين من بحارة البوارج الاخرى الآتين لانقاذ اخوانهم وثقب ثقبتين كبيرتين في جانب البارجة بيليك الراسية بالقرب من الليبرته وهزّ بيوت طولون وخلع ابواب بعضها وشبابيكها

وليس المراد وصف تلك الكارثة بتفاصيلها بل ذكر السبب الذي يمكن ان يؤدي الى نسف البوارج على هذه الصورة وهو ان البارود الذي اعتمدت عليهِ الدول البحرية الآن سريع الاشتعال فيشتعل من نفسهِ اذا اشتدت حرارتهُ

واول حادث حدث من هذا القبيل في مدرعة من المدرعات هو حادث المدرعة ماين الاميركية في مرفإ مدينة هفانا في كوبا سنة ١٨٩٨ وهو الذي ادّى الى نشوب الحرب بين اميركا واسبانيا فبينما كانت تلك المدرعة راسية في ذلك المرفإ آمنة مع الناس الذين على البر

صعقة شديدة فالتفتوا الى المدرعة واذا متقدمها قد ارتفع فوق الماء ثم غاصت كلها فيه بمن فيها من البحارة وعددهم ٣٥٤ نفساً وظنّ حينئذٍ ان الاسبانيين وضعوا لغماً تحتها ونسفوا مخزن البارود به ولكن لما رفعت قاعدتها من البحر هذه السنة وجد انها لم تنسف بلغم من الخارج ولذلك فنسفها كان من اشتعال ما فيها من البارود لا غير

ولما نشبت الحرب بين الروس واليابان مسّت البارجة بتروبافلسك الروسية لغماً من لغوم اليابانيين فانفجر تحتها واثر انفجاره في مخزن البارود الذي فيها كالكبسول في البارود فاشعله وكان لاشتعاله صوت يصمّ الاذان فشق مراجل البخار فانفجرت بصوت ثالث تلا الصوتين الاولين وشقّت البارجة فارتفعت ألسنة النار منها كالبركان ثم اطبقت عليها الامواج فغيبتها في قعر البحر. والذي نسفها واغرقها ليس اللغم لان الالغام اصابت غيرها من البوارج فاوقعت بها بعض الضرر ولكنها لم تغرقها وانما اغرقها اشتعال ما فيها من البارود بسبب انفجار اللغم تحتها

وبعد اسابيع قليلة اصابت البارجة اليابانية هتسوس لغماً فانفجر واشعل مخزن البارود الذي فيها فنسفها نسفاً واغرقها . وفي السنة التالية كانت البارجة مكاسا اليابانية وهي بارجة الاميرال في مرفإ ساسيبو فاشتعل بارود مخزنها من نفسه واغرقها. وسنة ١٩٠٨ نُسف الطراد متسوشيما اليابانيّ باشتعال بارودهِ من غير ان يشعلهُ احد

وسنة ١٩٠٦ كانت البارجة أكوادابان البرازيلية راسية في المرفإ فاشتعل بارودها من نفسه واغرقها وفي السنة التالية كانت البارجة جينا الفرنسوية في مرفإ طولون فسمع منها طلق كطلق مدفع صغير فلم يعبأ احد به لظنهم ان مدفعاً أُطلق عرَضاً وبعد قليل سمع صوت كالرعد وانبعثت سحب الدخان من البارجة وانفجر مؤخرها وتطايرت منهُ القنابل والشظايا والاشلاء وجعل الرجال يصعدون من جوف البارجة الى ظهرها ممزقي الاعضاء محروقي الثياب والطلقات تتوالى وراءهم كأنّ صناديق البارود والقنابل كان يتبع بعضها بعضاً في انفجارهِ. وقتل بهذه الكارثة ٢٥ من بحارة البارجة وإيفت البارجة نفسها حتى لم يعد اصلاحها ممكناً

واختلفت الظنون في سبب هذه النازلة فقال قوم انها من عمل الفوضويين وقال غيرهم ان البحارة تمرّدوا فنسفوا البارود لكن البحث المدقق اثبت انهُ لم يكن للفوضويين يد في ذلك ولا كان في البارجة تمرّد . وحينئذٍ قيل في سبب الانفجار ثلاثة اقوال الاول ان الامواج الكهربائية التي تنتقل من غير سلك معدني غيّرت الموازنة بين المواد الكيماوية التي يتألف منها البارود فاشعلتهُ والثاني ان بعض البحارة اخطأ في رفع صناديق البارود ووضعها او في رفع القنابل ووضعها فاشتعلت ووصلت النار منها الى غيرها . والثالث ان الاشتعال حدث من نفسهِ

بغير فعل فاعل . ورجح القول الاخير لان عند الفرنسويين بارودًا سريع الاشتعال يسمى بارود حرف B فيشتعل من تلقاء نفسه لاقل سبب حتى قال النبطان لبدي ان البوارج الفرنسوية كلها عرضة للخطر من اشتعال هذا البارود . ثم ثبت ما قالهُ بعد اسابيع قليلة لان بعض هذا البارود اشتعل من تلقاء نفسه امام اللجنة التي كانت تمتحنهُ ولو كان مقدارهُ كثيرًا لقضى عليها ولكن اللجنة اثبتت انهُ اذا بقي هذا البارود باردًا ولم يعتق كثيرًا فلا خوف من انهُ يشتعل من تلقاء نفسه

ولما حدثت حادثة البارجة جينا اهتمَّ الانكليز بالامر وجعلوا يبحثون في بارودهم فوجدوا ان جانبًا من بارود الكرديت لا يصلح للاستعمال فرموهُ في البحر ووضعوا الآلات المبردة في كل بوارجهم حتى تبرَّد مخازن البارود دائمًا . ومخازن البارود عندهم يسهل غمرها بالماء حالاً اذا اضطرمت النار في البارجة وهذا شأن البارجة ليبرته فان مخازنها مبرَّدة بالآت التبريد ويمكن غمرها بالماء وقت الاقتضاء فكيف اشتعل بارودها وكيف وصلت النار اليهِ ولماذا لم يغمر بالماء . هذه مسائل لا بد من ان يجلوها التحقيق

ومهما كانت اسباب هذا الخطب فهو فادح جدًّا . وكل رجال السياسة الذين كتبوا في هذا الموضوع من الملوك الى محرري الصحف قالوا ان الذي يعزي النفوس عمَّا حدث هو ان البحارة بقوا مثابرين على القيام بما يطلب منهم الى آخر دقيقة من حياتهم ولم ينهزموا من الخطر المحدق بهم بل ان الذين رموا بانفسهم في البحر اولاً عادوا الى المدرعة لما سمعوا صوت البوق يدعوهم الى ذلك

وجدنا لو استنتجوا من هذا الخطب الفادح نتيجة اخرى وهي ان وضع مهج الرجال وملايين الاموال فوق مواد كيماوية تشتعل لاقل سبب جريمة لا تغتفر لاسيما وان القصد الاكبر من ذلك الآن حفظ التيجان على رؤوس ارباب الاموال في صناديق اصحابها وان الوقت قد حان لنبذ المطامع وربط ام الارض بربط السلام والوئام والنفع المتبادل

وهاك جدول المدرعات التي نسفت لذاتها في زمن السلم وعدد من قتل بنسفها

سنة	١٨٩٨	البارجة ماين الاميركية	وقتل بها ٢٥٤ نفسًا
»	١٩٠٥	البارجة ميكاسا اليابانية	» ٢٥٦ »
»	١٩٠٦	البارجة اكودابان البرازيلية	» ٢٢٣ »
»	١٩٠٧	البارجة جينا الفرنسوية	» ١١٤ »
»	١٩٠٨	الطراد متسوشيما الياباني فيهِ	» ٢٠٠ نفس